

العَفْلَةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوَاقِقِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ

إخواني :

اعلموا أنه ليس من الله إلا الخير لعباده ، وهو حاصل لكل إنسان حتى في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ وبهذا نعلم أن كل ما يصيب الإنسان في الدنيا من منافع ومصالح فهو من الله وحده . والذين آمنوا بالله واليوم الآخر يهديهم ربهم بإيمانهم إلى معرفة هذه الحقائق التي تقتضيها كمال صفاته سبحانه . ومتى ما عرفوها التزموها سلوكاً في حياتهم فلا يكون للشيطان سلطان عليهم لأنهم مع الله بالعبودية . والله يقول : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ وإذا بعد الشيطان عن المؤمن فعلى قدر بعده يتقرب المؤمن إلى الله بصفات بشريته على قدر إيمانه بربه ويقظته وبقينه ، وعبوديته لربه وخالقه ؛ لأن المؤمن يرى صفات الله في كل ما هو كائن بقضائه وقدره . وإن غفل عن المشاهدة لحظة من الوقت يتدارك غفلة بذكره واستغفاره . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

إخواني :

ليس من الله إلى عباده إلا الخير عاجلاً وآجلاً . فمن جاهد نفسه متطلعاً إلى الإيمان بذلك فإنه يواجه الأحداث والوقائع بروح الإيمان بربه . فإن وجد ما يحب شكر الله وحمده . وإن وجد ما يكره أقام الحجة على نفسه التي يغمرها الإحساس بحسن الظن بالله فإذا به يدخل حضرة اخق بالصبر والرضا والله يقول : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقد علمت أيها الإخوة أن نسبة الخير فيما يصيب الله به عباده في الحياة الدنيا أضعاف أضعاف نسبة الشر ، فلو قام العبد بشكر ربه على مطلق النعم التي لا حصر لها كفاه

ذلك عن التأثير بالشر إذا وقع عليه . قال تعالى مذكراً عباده : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ فالغفلة عن شهود نعمه والاعتراف بها وإضافتها إليه سبحانه أكبر حجاب في طريق العبد إلى ربه . ومن أجل هذا أقول إن نعمة الحياة وحدها تكفى المؤمن ذكراً ليومه لأنها حاصلة له دون كسب منه ولا تسبب فيها . ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ فإذا عزم العبد على السفر إلى الله عرضت له الخوادم والقواطع ، وهي أكثر من أن أحصيا لكم وهي لا تنقطع أبداً حتى يلقي العبد ربه . وإن كانت تختلف نوعاً ولوناً وكيفاً . وليست العبرة بحصولها . إنما العبرة بالموقف معها ، فمن وقف معها انقطع عن المقصود ، ومن لم يقف معها وسار ناظراً إلى مراد الله منه ، وما يحبه منه بحيث يكون عبده الموقوف على محابه ومراضيه . لا يختار لنفسه غير ما يختار الله له سواء تعب أو استراح ، تنعم أو تألم . أخرجته إلى الناس أو عزلته عنهم ؛ لأنه مع سيده وأوامره ينفذها بحسب الإمكان ونفسه عنده أهون عليه أن يقدم مرضاتها ولذاتها على مرضاة سيده وأمره . فهذا هو العبد الذي قد وصل ونفذ أو في طريق ذلك لم يقطعه عن ربه شيء أبداً .

أخى :

إن العبد المؤمن في وقت من وقتين . بين وقت مضى ووقت مستقبل . فما مضى يصلحه بالتوبة والندم والاستغفار . وذلك شيء لا تعب فيه ، ولا نصب ولا معاناة . وما يستقبله من وقت فالمطلوب منه عزيمة صادقة ، ونية جازمة على الامتناع عن الذنوب والآثام فمن أضاع وقته أضاع سعادته ونجاحه وفلاحه ، ومن حفظه نجا وفاز بفضل الله ورحمته والحفظ للوقت أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها ، وأعظم تحصيلاً لسعادتها والناس في هذا متفاوتون . ومن علامة صحة الإرادة أن يكون هم المرید رضا ربه واستعداده للقاءه ، وحزنه على وقت مرّ في غير مرضاة ربه ، وأسفه على عدم قربه من خالقه والأنس به ، وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غيره . قال بعض الزهاد : ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو إحسان . فقال له رجل : إني أكثر البكاء . فقال لأن

تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكى وأنت فخور بعملك فقال
أوصنى : فقال : دَغ الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها . وكن في
الدنيا كالنحلة إن أكلت أكلت طيباً ، وإن أطعمت أطعمت طيباً . وإن
سقطت على شيء لم تكسره ولم تחדشه . فرضى الله عن الصالحين . فقد
استفادوا وأفادوا .

واعلموا أن العارف بالله لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرُونَ على
تركها . ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم فترك الدنيا
فضيلة . وترك الذنوب فريضة . وكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقيم بالفريضة
فإن صعب عليهم ترك الذنوب فليجتهدوا في أن يُحَبِّبَ إليهم ذكر آلاء الله
وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ، ونعوت جلاله . فإن القلوب مفطورة على
محبه ، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب . والإقلال منها وعدم الإصرار
عليها . وقد قال يحيى بن معاذ : طلب العالم للدنيا خير من ترك الجاهل لها .
فالعارف بالله يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة . والزاهد
يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة ؛ لأن الفطام عن الثدي الذى
ما عقل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه شديد . ولكن تخير من المرضعات
أزكاهن وأفضلهن . فإن اللبن تأثيراً في طبيعة الرضيع . ورضاع المرأة الحمقى
يعود بالحمق إلى الولد كما يقولون . وأنفع الرضاع ما كان من المجاعة فإن قويت
على مرارة الفطام وإلا فلترضع بقدر ؛ فإن من التَّخمة ما يقتل . والله ولى
التوفيق .